مجموع
الخطب المنبرية

سلسلة (ذكر الموت وما بعده)

الخطبة الخامسة

وسائل الثبات عند الممات 1

جمع وترتيب
من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

«فَالِاسْتِقَامَةُ كَلِمَةٌ آخِذَةٌ بِمَجَامِعِ الدِّينِ؛ وَهِيَ الْقِيَامُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ حَقِيقَةِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَهِيَ تَتَعَلَّقُ بِالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَالنِّيَّاتِ.

وَالِاسْتِقَامَةُ فِيهَا وُقُوعُهَا لِلهِ وَبِاللهِ وَعَلَىٰ أَمْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ»[1].

---

(١) «مدارج السالكين»: (٢/ ١٠٦).

فَعَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يُرَاعِيَ هَذَا الَّذِي طَلَبَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- مِنْهُ.(*).

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْٓاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢].

فَالْزَمْ يَا رَسُولَ اللهِ النَّهْجَ الْمُسْتَقِيمَ الْمُتَوَسِّطَ بَيْنَ طَرَفَيِ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ، وَاثْبُتْ عَلَىٰ دِينِ رَبِّكَ وَالْعَمَلِ بِهِ وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ أَنْتَ وَمَنْ آمَنَ مَعَكَ مِنْ أُمَّتِكَ.

وَلَا تُجَاوِزُوا مَا حُدِّدَ لَكُمْ بِإِفْرَاطٍ أَوْ تَفْرِيطٍ، إِنَّهُ -سُبْحَانَهُ- بَصِيرٌ -دَوَامًا- بِكُلِّ مَا تَعْمَلُونَ فِي حَيَاتِكُمْ، وَسَيُعَاقِبُ الْمُتَجَاوِزِينَ حُدُودَهُ بِعَدْلِهِ.(*/٢).

كُلَّمَا اسْتَقَامَ الْعَبْدُ عَلَىٰ شَرْعِ اللهِ؛ اسْتَقَامَتْ لَهُ الدُّنْيَا عَلَىٰ مَا يَنْفَعُهُ وَلَا يَضُرُّهُ، فَضْلًا عَنِ الثَّوَابِ الْعَظِيمِ فِي الْآخِرَةِ، وَيَسَّرَ اللهُ -تَعَالَىٰ- لَهُ كُلَّ عَسِيرٍ، وَخَدَمَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، وَكَثُرَتْ فِي مُجْتَمَعِهِ الْخَيْرَاتُ؛ كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٩٦].

وَقَالَ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦].(*/٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الِاسْتِقَامَةُ» - الْجُمُعَةُ ٢٥ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣٥هـ | ٢٥-٤-٢٠١٤م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [هود: ١١٢].

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ- مِنْ خُطْبَةِ: «أَسْبَابُ انْهِيَارِ الدُّوَلِ» - الْجُمُعَة ٢٨ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٨هـ/ ٢٣-٦-٢٠١٧م.

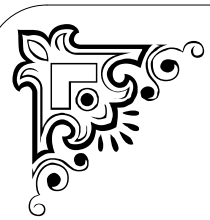

الْخَوْفُ مِنْ عَدَمِ الثَّبَاتِ فِي زَمَانِ الْفِتَنِ!!

عِبَادَ اللهِ! اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هُوَ الْمَسْئُولُ أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَىٰ الدِّينِ الْحَقِّ؛ فَإِنَّ عَنَاصِرَ الثَّبَاتِ قَدْ عَزَّتْ.. بَلْ نَدُرَتْ، وَإِنَّ وَسَائِلَ سُوءِ الْخَاتِمَةِ قَدْ كَثُرَتْ.. بَلْ قَدْ غَزَتِ الْعُقُولَ وَالْقُلُوبَ وَالْحَيَاةَ فِي جَمِيعِ مَنَاحِيهَا.

وَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَثْبُتَ إِلَّا بِتَثْبِيتِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ مُخْبِرًا عَنِ الْفِتَنِ -إِنَّهَا عَظِيمَةٌ حَقًّا-: «**يَبِيتُ الرَّجُلُ مُسْلِمًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، وَيُصْبِحُ مُسْلِمًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**»(١).

مَتَىٰ مَا لُوِّحَ لَهُ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا.. وَالنَّبِيُّ ﷺ أَتَىٰ بِـ(عَرَضٍ) هَاهُنَا مُنَكَّرًا لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ التَّحْقِيرِ: «**وَيَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**»؛ بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ، الْمُهِمُّ أَنْ يُبْذَلَ لَهُ مَالٌ، وَلَوْ كَانَ حَقِيرًا ضَئِيلًا، وَلَوْ كَانَ كَالْعَظْمَةِ الَّتِي تُرْمَىٰ لِلْكَلْبِ فِي مَزْجَرِهِ، فَهِيَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَحَسْبُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ!!

إِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يَرْبِطُ عَلَىٰ الْقُلُوبِ.(*).

---

(١) أخرجه مسلم: (١/ ١١٠، رقم ١١٨)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْخَوْفُ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ» - الْجُمُعَةُ ١٠ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢٧هـ/ ١٠-٣-٢٠٠٦م.

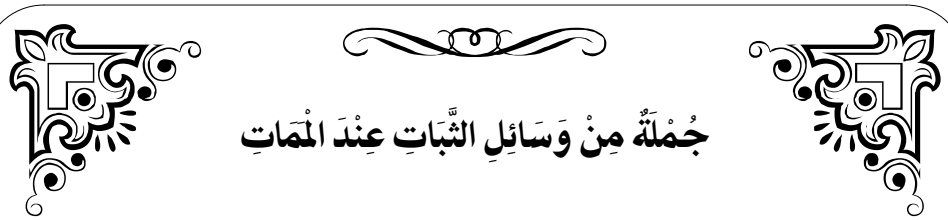

جُمْلَةٌ مِنْ وَسَائِلِ الثَّبَاتِ عِنْدَ الْمَمَاتِ

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ وَسَائِلِ الثَّبَاتِ: سُؤَالُ اللهِ وَالضَّرَاعَةُ إِلَيْهِ بِطَلَبِ التَّثْبِيتِ عَلَى الْحَقِّ وَالِاسْتِقَامَةِ عَلَيْهِ، وَلَا سِيَّمَا فِي أَوْقَاتِ الْإِجَابَةِ:

قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

رَبَّنَا لَا تُمِلْ قُلُوبَنَا عَنِ الْحَقِّ وَالْهُدَىٰ بَعْدَ أَنْ وَفَّقْتَنَا لِدِينِكَ وَالْإِيمَانِ بِالْمُحْكَمِ وَالْمُتَشَابِهِ مِنْ كِتَابِكَ، وَأَعْطِنَا مِنْ مَحْضِ فَضْلِكَ الْوَاسِعِ تَوْفِيقًا وَتَثْبِيتًا لِلَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْهُدَىٰ، إِنَّكَ أَنْتَ كَثِيرُ الْفَضْلِ وَالْعَطَاءِ.(*).

وَقَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

أَرْشِدْنَا وَأَدِمْ هِدَايَتَنَا، وَطَلَبُ الْهِدَايَةِ مِنَ الْمُهْتَدِي مَعْنَاهُ: طَلَبُ الزِّيَادَةِ مِنَ الْهِدَايَةِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يُهْدَىٰ إِلَى الطَّرِيقِ ثُمَّ يُقْطَعُ بِهِ فَلَا يَسْتَمِرُّ فِي هِدَايَتِهِ، فَيَقُولُ الْمُهْتَدِي: اهْدِنَا!

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [آل عمران: ٨].

اهْدِنَا الطَّرِيقَ الْمُوصِلَ إِلَىٰ رِضَاكَ وَإِلَىٰ جَنَّتِكَ؛ وَهُوَ الْإِسْلَامُ لَكَ.

﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: الَّذِي لَا مَيْلَ فِيهِ عَنِ الْحَقِّ، وَلَا زَيْغَ عَنِ الْهُدَىٰ؛ وَهُوَ الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ.(*).

وَعَلَّمَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نَتَوَجَّهَ إِلَىٰ رَبِّنَا جَلَّوَعَلَا بِالدُّعَاءِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ سَمَّىٰ الدُّعَاءَ فِي كِتَابِهِ عِبَادَةً؛ فَقَالَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾؛ أَيْ: عَنْ دُعَائِي، ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]: أَذِلَّةً صَاغِرِينَ.

«**فَالدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»(٢)؛ كَمَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» -[الفاتحة: ٦].

(٢) أخرجه أبو داود: (٢/ ٧٦، رقم ١٤٧٩)، والترمذي: (٥/ ٢١١، رقم ٢٩٦٩)، وابن ماجه: (٢/ ١٢٥٨، رقم ٣٨٢٨)، من حديث: النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وصححه الألباني في «**صحيح أبي داود**»: ٥/ ٢١٩، رقم (١٣٢٩).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ عِيدِ الْأَضْحَىٰ ١٤٣٨هـ: «مِنْ دُرُوسِ الْحَجِّ» - الْجُمُعَةُ ١٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٨هـ/ ١-٩-٢٠١٧م.

وَلْيَحْرِصِ الْمُسْلِمُ عَلَىٰ تَحَرِّي الْأَوْقَاتِ الْفَاضِلَةِ؛ كَالسُّجُودِ، وَعِنْدَ الْأَذَانِ، وغَيرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَوْقَاتِ(١). (*).

وَالرَّسُولُ ﷺ كَانَ يُكْثِرُ أَنْ يَدْعُوَ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ بِهَذَا الدُّعَاءِ: «**اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ دِينِكَ**».

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَكْثَرِ مَا يَدْعُو بِهِ رَبَّهُ جَلَّوَعَلَا: «**اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ! ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ**».

يَقُولُ أَنَسٌ: فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّا قَدْ آمَنَّا بِكَ، وَصَدَّقْنَا بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنَ الْهُدَىٰ وَالنُّورِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ؛ أَفَتَخْشَىٰ عَلَيْنَا؟».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّمَا قُلُوبُ الْخَلْقِ جَمِيعًا بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**»(٣).

فَالنَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ بِهَذَا الدُّعَاءِ، وَالنَّبِيُّ هُوَ النَّبِيُّ ﷺ.

---

(١) «**فتح الباري**»: (١١/ ١٤١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحِ الأَدَبِ الْمُفْرَدِ» - الجُزْءُ الرَّابِعُ (ص٢٨٥١-٢٨٥٦).

(٣) أخرجه الترمذي: (٤/ ٤٤٨-٤٤٩، رقم ٢١٤٠)، وابن ماجه: (٢/ ١٢٦٠، رقم ٣٨٣٤)، من حديث: أَنَسٍ، قَالَ:

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ،...الحديث.

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَفِي الْبَابِ عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، وَأُمِّ سَلَمَةَ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، وَعَائِشَةَ، وَأَبِي ذَرٍّ»، وصححه الألباني في «**صحيح الأدب المفرد**»: (ص٢٥٣، رقم ٥٢٧).

«اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ! ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ».

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ يَا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ! صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ طَاعَتِكَ»(١).

فَالنَّبِيُّ ﷺ يُبَيِّنُ لَنَا أَنَّ قُلُوبَ الْخَلْقِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، وَأَنَّكَ لَا تَدْرِي بِمَا سَبَقَ الْكِتَابُ عَلَيْكَ؛ أَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟!(٢).

نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.(*).

* **وَمِنْ أَعْظَمِ وَسَائِلِ الثَّبَاتِ عِنْدَ الْمَمَاتِ: الِاسْتِقَامَةُ عَلَى أَمْرِ اللهِ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ **قَالَ اللهُ** جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى

---

(١) أخرجه مسلم: (٤/ ٢٠٤٥، رقم ٢٦٥٤)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بْنَ عَمْرٍو، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ طَاعَتِكَ**».

(٢) أخرج البخاري: (٦/ ٣٠٣، رقم ٣٢٠٨)، ومسلم: (٤/ ٢٠٣٦-٢٠٣٧، رقم ٢٦٤٣)، من حديث: ابن مسعود، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: «...، **فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا**».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «حُسْنُ الْخَاتِمَةِ».

﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣].

وَعَدَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَاسْتَقَامَ عَلَىٰ الطَّرِيقَةِ.. وَعَدَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هَذَا الْوَعْدَ الْحَقَّ الَّذِي لَا يَتَخَلَّفُ؛ بِتَثْبِيتٍ فِي الْحَيَاةِ، وَثَوَابٍ بَعْدَ الْمَمَاتِ.

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾: عِنْدَ قَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ(١)؛ لَا تَخَافُوا مِمَّا أَنْتُمْ مُقْدِمُونَ مُقْبِلُونَ عَلَيْهِ، وَلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا خَلَّفْتُمْ وَرَاءَكُمْ مِنَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ، سَيَحْفَظُكُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِيهِ(٢)؛ ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.(*).

---

(١) «**تفسير السعدي**»: (ص٣٦٨).

(٢) أخرج الطبري في «**جامع البيان**»: (٢٤/ ١١٦)، وعبد الرحمن بن الحسن الهمداني في «**تفسير مجاهد**»: (ص٥٨٦)، والبيهقي في «**إثبات عذاب القبر**»: (ص٦٦، رقم ٧٤)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، قَالَ: «عِنْدَ الْمَوْتِ»، وَقَوْله: ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾، قَالَ: «لَا تَخَافُوا مَا تَقْدَمُونَ عَلَيْهِ مِنْ أَمَرِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا خَلَّفْتُمْ مِنْ دُنْيَاكُمْ مِنْ أَهْلٍ وَوَلَدٍ، فَإِنَّا نَخْلُفُكُمْ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ».
وروي أيضا عن السدي نحوه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ» - الْجُمُعَةُ ٧ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣١هـ | ١٥-١٠-٢٠١٠م.

عَنْ أَبِي عَمْرٍو -وَقِيلَ: أَبِي عَمْرَةَ- سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ.

قَالَ ﷺ: «**قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

«**ثُمَّ اسْتَقِمْ**»؛ مَعْنَاهُ: أَيِ اسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ مُمْتَثِلًا أَمْرَ اللهِ، مُجْتَنِبًا نَهْيَهُ»(٢).

«أَصْلُ الِاسْتِقَامَةِ اسْتِقَامَةُ الْقَلْبِ عَلَىٰ التَّوْحِيدِ؛ كَمَا فَسَّرَ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(٣) وَغَيْرُهُ؛ فَسَّرُوا قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ**﴾.. بِأَنَّهُمْ لَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَىٰ غَيْرِهِ»(٤).

وَالْحَقِيقَةُ: أَنَّ الْأَصْلَ هُوَ التَّوْحِيدُ؛ يَنْبَغِي أَنْ يُبْدَأَ بِهِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يُنْتَهَىٰ إِلَيْهِ، وَكُلُّ مَنْ أَرَادَ إِصْلَاحَ الْأُمَّةِ مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الطَّرِيقِ فَإِنَّهُ لَنْ يَبْلُغَ شَيْئًا، بَلْ سَيَكُونُ ضَرَرُهُ أَكْثَرَ مِنْ نَفْعِهِ، وَيَكُونُ إِفْسَادُهُ أَكْثَرَ مِنْ إِصْلَاحِهِ، هَذَا إِذَا أَصْلَحَ شَيْئًا، وَالْوَاقِعُ شَاهِدٌ بِذَلِكَ.

---

(١) «**الأربعون النووية**»: (ص٧٤، رقم ٢١)، وأخرجه مسلم: (١/ ٦٥، رقم ٣٨)، من حديث: سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) «**الفتح المبين بشرح الأربعين**» للهيثمي: (ص٦٤٣).

(٣) أخرج عبد الرزاق في «**تفسيره**»: (٣/ ١٥٤، رقم ٢٧٠٩)، وابن سعد في «**الطبقات**»: (٦/ ٨٤)، وأبو داود في «**الزهد**»: (ص٥٩-٦٠، رقم ٣٨ و٣٩)، والطبري في «**جامع البيان**»: (٢٤/ ١١٤-١١٥)، والحاكم: (٢/ ٤٤٠-٤٤١، رقم)، بإسناد صحيح، عَنْ أَبِي بَكْرٍ، في قوله: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ**﴾، قَالَ: «فَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَىٰ إِلَهٍ غَيْرِهِ». وروي مرفوعا بنحوه، وهو أيضا قول مجاهد والسدي وعكرمة وغيرهم.

(٤) «**جامع العلوم والحكم**»: (١/ ٥١١-٥١٢).

فَالْإِنْسَانُ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَىٰ تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ فِي نَفْسِهِ، فَإِذَا لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَهُوَ عَلَىٰ شَفَا هَلَكَةٍ؛ لِأَنَّ الَّذِي لَا يُحَقِّقُ التَّوْحِيدَ لَا شَكَّ يَكُونُ مُشْرِكًا.

فَلَا بُدَّ مِنْ تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ، وَهُوَ لُبُّ الِاسْتِقَامَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهَا، وَأَمَرَ بِهَا رَسُولُهُ ﷺ.

«وَمَتَىٰ اسْتَقَامَ الْقَلْبُ عَلَىٰ مَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَعَلَىٰ خَشْيَتِهِ، وَإِجْلَالِهِ، وَمَهَابَتِهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَإِرَادَتِهِ، وَرَجَائِهِ، وَدُعَائِهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالْإِعْرَاضِ عَمَّا سِوَاهُ.. مَتَىٰ اسْتَقَامَ الْقَلْبُ عَلَىٰ ذَلِكَ اسْتَقَامَتِ الْجَوَارِحُ كُلُّهَا عَلَىٰ طَاعَتِهِ.

فَإِنَّ الْقَلْبَ هُوَ مَلِكُ الْأَعْضَاءِ، وَهِيَ جُنُودُهُ، فَإِذَا اسْتَقَامَ الْمَلِكُ اسْتَقَامَتْ جُنُودُهُ وَرَعَايَاهُ، وَأَعْظَمُ مَا يُرَاعَىٰ اسْتِقَامَتُهُ بَعْدَ الْقَلْبِ مِنَ الْجَوَارِحِ اللِّسَانُ فَإِنَّهُ تُرْجُمَانُ الْقَلْبِ، وَالْمُعَبِّرُ عَنْهُ، ولِهَذَا لَمَّا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالِاسْتِقَامَةِ وَصَّاهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِحِفْظِ لِسَانِهِ»(١). (*).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! إِنَّ الَّذِينَ أَعْلَنُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ مُتَحَدِّينَ الطُّغَاةَ مِنْ أَئِمَّةِ الْكُفْرِ: رَبُّنَا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ، ثُمَّ اسْتَقَامُوا عَلَىٰ سُلُوكِ صِرَاطِ اللهِ الْمُسْتَقِيمِ؛ اعْتِقَادًا وَعَمَلًا، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، نَفْسِيًّا وَجَسَدِيًّا، أُولَئِكَ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ آنًا فَآنًا كُلَّمَا تَعَرَّضُوا لِمُقْلِقَاتٍ مُزْعِجَاتٍ بِالْمَخَاوِفِ وَالْمُحْزِنَاتِ، فَتُلْقِي بِمَا يُشْبِهُ حَدِيثَ النَّفْسِ فِي قُلُوبِهِمْ.

---

(١) «**جامع العلوم والحكم**»: (١/ ٥١٢)، باختصار يسير.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ» (الْحَدِيثُ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ: قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ!) - الْأَرْبِعَاءُ ٢٣ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٥هـ | ٢٧-١١-٢٠١٣م.

أَلَّا تَخَافُوا مِنْ مَكَارِهَ تَنْزِلُ بِكُمْ، وَلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ شَيْءٍ فَاتَكُمْ مِنْ مَحَابِّكُمْ؛ لِأَنَّ اللهَ رَبَّكُمُ اخْتَارَ لَكُمْ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَفْضَلُ جَزَاءَ إِيمَانِكُمْ وَاسْتِقَامَتِكُمْ، **وَتَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ الْمَوْتِ قَائِلِينَ لَهُمْ: لَا تَخَافُوا عَلَىٰ مَا تُقْدِمُونَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا خَلَّفْتُمْ وَرَاءَكُمْ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا؛ فَمَا أُعِدَّ لَكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَعْظَمُ.**

﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فِي الدُّنْيَا.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾.

تَقُولُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ نُزُولِهِمْ بِالْبُشْرَىٰ: نَحْنُ أَنْصَارُكُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِكُمُ الْكَفَرَةِ، وَالْمُحَافِظُونَ عَلَيْكُمْ، نَحْمِيكُمْ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

وَنَحْنُ أَنْصَارُكُمْ وَأَحِبَّاؤُكُمْ فِي الْآخِرَةِ، لَا نُفَارِقُكُمْ حَتَّىٰ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، وَلَكُمْ فِي الْجَنَّةِ كُلُّ مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ مِنَ الْكَرَامَاتِ وَالْمَلَذَّاتِ، وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَتَمَنَّوْنَ؛ ضِيَافَةً وَإِكْرَامًا مِنْ رَبٍّ وَاسِعِ الْمَغْفِرَةِ لِذُنُوبِكُمْ، دَائِمِ الرَّحْمَةِ بِكُمْ.(*).

*** مِنْ أَعْظَمِ وَسَائِلِ الثَّبَاتِ عِنْدَ الْمَمَاتِ: تَحْقِيقُ الْإِيمَانِ الْحَقِّ فِي الْحَيَاةِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [فصلت: ٣٠-٣٢].

يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا صَحِيحًا صَادِقًا فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ الَّتِي يَحْتَاجُونَ فِيهَا إِلَىٰ تَثْبِيتٍ وَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ كَتَثْبِيتِهِمْ عَلَىٰ الْإِيمَانِ كُلَّمَا تَعَرَّضُوا لِهَزَّاتٍ مُزَلْزِلَاتٍ لِلْقُلُوبِ، **وَبِتَثْبِيتِهِمْ عَلَىٰ الْإِيمَانِ قَبْلَ نَزْعِ أَرْوَاحِهِمْ عِنْدَ اقْتِرَابِ آجَالِهِمْ؛ لِتَكُونَ وَفَاتُهُمْ عَلَىٰ إِيمَانٍ كَامِلٍ.**

أَمَّا فِي الْآخِرَةِ؛ فَيَكُونُ تَثْبِيتُهُمْ فِي الْقَبْرِ عِنْدَ سُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ بِهِدَايَتِهِمْ إِلَىٰ الْجَوَابِ الصَّحِيحِ، وَفِي مَوْقِفِ الصِّرَاطِ وَالْحِسَابِ وَالْمِيزَانِ.(*).

*** وَمِنْ وَسَائِلِ الثَّبَاتِ حَتَّى الْمَمَاتِ: جِهَادُ النَّفْسِ عَلَى طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَى الْفَرَائِضِ وَالِاجْتِهَادِ فِي أَدَاءِ النَّوَافِلِ؛** قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ** -وَهَذَا فِي تَحْصِيلِ الْمَحْبُوبِ- **وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ** -وَهَذَا فِي الْوِقَايَةِ مِنَ الْمَرْهُوبِ-»(٢).

فَجَعَلَ لَهُ الْخَيْرَ بِحَذَافِيرِهِ لَمَّا أَتَىٰ بِمُوجِبِ مَحَبَّةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَازِمِهَا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [إبراهيم: ٢٧].

(٢) أخرجه البخاري: (١١/ ٣٤٠-٣٤١، رقم ٦٥٠٢)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

وَقَدْ بَيَّنَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنَّ الْأَعْمَالَ تَتَفَاضَلُ فِي جِنْسِهَا، فَلَيْسَتِ الْفَرَائِضُ كَالنَّوَافِلِ، فَجِنْسُ الْفَرَائِضِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ جِنْسِ النَّوَافِلِ، ثُمَّ إِنَّهَا بَعْدَ ذَلِكَ تَتَفَاضَلُ بِالنَّوْعِ؛ فَالصَّلَاةُ مِنَ الْفَرَائِضِ هِيَ أَفْضَلُ مَا افْتَرَضَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي نَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَهِيَ - أَيْضًا- تَتَفَاضَلُ نَوْعًا كَمَا تَفَاضَلَتْ جِنْسًا(١).

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بَيَّنَ لَنَا أَنَّهُ لَا يَتَقَرَّبُ الْعَبْدُ إِلَيْهِ بِأَحَبَّ مِمَّا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ، أَنْ يُؤَدِّيَ الْإِنْسَانُ مَا فَرَضَ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ مِنَ الْفَرَائِضِ، يَأْتِي بِهَا مُقِيمًا إِيَّاهَا كَمَا جَاءَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ.

فَلَا بُدَّ أَنْ يَعْرِفَ الْإِنْسَانُ مَا افْتَرَضَهُ اللهُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يُؤَدِّيَهُ كَمَا افْتَرَضَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ، وَلَا يُعْرَفُ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ قِبَلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَإِذَا مَا أَتَىٰ بِذَلِكَ عَلَىٰ الْوَجْهِ؛ فَعَلَيْهِ أَنْ يُكْثِرَ مِنَ النَّوَافِلِ تَقَرُّبًا إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.(*).

* **وَمِنْ وَسَائِلِ الثَّبَاتِ حَتَّى الْمَمَاتِ: تَذَكُّرُ الْمَوْتِ وَالْقَبْرِ**.. النَّبِيُّ ﷺ هُوَ الَّذِي أَتَىٰ بِالْإِخْلَاصِ كُلِّهِ ﷺ، وَعَلَّمَ الْأُمَّةَ كَيْفَ تَكُونُ مُخْلِصَةً لِرَبِّهَا؛ إِذْ تَجْعَلُ الْقَبْرَ بِشَفِيرِهِ أَمَامَ نَاظِرَيْهَا، تَنْظُرُ إِلَىٰ فَتْحَةِ الْقَبْرِ يَكَادُ يَبْتَلِعُ الْأَنَاسِيَّ ابْتِلَاعًا، وَحَتْمًا

---

(١) انظر: «**فتح ذي الجلال والإكرام**» لابن عثيمين: (٣/ ٤٤٥).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ وَاخْتِصَارٍ- مِنْ خُطْبَةِ: «مَحَبَّةُ اللهِ لِلْعَبْدِ» - الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَجَبٍ ١٤٢٩هـ| ١٨-٧-٢٠٠٨م.

يَبْتَلِعُهُمْ، حَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ مِنَ الْأَحْيَاءِ أَحَدٌ، وَحَتَّىٰ يَقُولَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- عِنْدَمَا يُقِيمُ السَّاعَةَ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]؟

فَلَا يُجِيبُهُ أَحَدٌ، فَيُجِيبُ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

يَجْعَلُ النَّبِيُّ ﷺ الْقَبْرَ بِإِزَاءِ النَّظَرِ مَاثِلًا قَائِمًا؛ لِأَنَّ حَقِيقَةَ الْقَبْرِ إِنْ خَالَطَتِ النَّفْسَ وَامْتَزَجَتْ بِالدِّمَاءِ، صَارَ الْعَبْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ خَالِصًا، وَلَمْ يَعُدْ مِنْهُ شَيْءٌ لِلدُّنْيَا أَبَدًا، وَكَيْفَ وَهُوَ قَبْرٌ مُتَحَرِّكٌ فِي أَكْفَانِهِ؟!!

وَهُوَ غَادٍ وَرَائِحٌ يَنْتَظِرُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَىٰ الْآلَةِ الْحَدْبَاءِ الَّتِي مَا مِنِ ابْنِ أُنْثَىٰ إِلَّا سَيُحْمَلُ عَلَيْهَا مِنَ الدَّهْرِ يَوْمًا، حَتَّىٰ يُغَيَّبَ فِي ثَرَاهُ، وَحَتَّىٰ يُوَارَىٰ فِي لَحْدِهِ؛ فِي الْوَحْشَةِ، فِي الْكُرْبَةِ، فِي الْوَحْدَةِ بَيْنَ الْهَوَامِّ الرَّاتِعَاتِ فِي جَسَدٍ كَانَ قَبْلُ مَصُونًا، إِذَا مَسَّهُ الرِّيحُ تَأَلَّمَ، وَإِذَا عَضَّهُ النَّسِيمُ تَأَوَّهَ!! وَالْيَوْمَ هُوَ فِي حُفْرَتِهِ بَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرَىٰ، مُغَيَّبٌ بَيْنَ طَبَقَاتِ الْوَحْشَةِ، وَبَيْنَ مَا يُهَالُ عَلَيْهِ مِنَ الْوَحْدَةِ، مِنَ الْكُرْبَةِ، مِنَ الْأَلَمِ، مِنَ الْعَذَابِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَحِيحًا فِي إِيهَابٍ، إِنْ لَمْ يَكُنْ مُقْبِلًا عَلَىٰ رَبِّ الْأَرْبَابِ، فاللَّهُمَّ سَلِّمْ وَارْحَمْ، وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

«أَيْ إِخْوَانِي! لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا»[1]، فَلِمَ يَغِيبُ عَنْ خَاطِرِكَ؟!!

---

(١) أخرجه ابن ماجه: (٢/ ١٤٠٣، رقم ٤١٩٥)، من حديث: الْبَرَاءِ، قَالَ:

كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي جِنَازَةٍ، فَجَلَسَ عَلَىٰ شَفِيرِ الْقَبْرِ، فَبَكَىٰ، حَتَّىٰ بَلَّ الثَّرَىٰ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا إِخْوَانِي، لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا**».

والحديث حسنه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٣/ ٣٠٤، رقم ٣٣٣٨).

وَلِمَ يَرُوحُ عَنْ بَالِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلٌ عَلَيْهِ إِقْبَالًا؟!!

وَالْبَاقِي مِنَ الْعُمُرِ لَحْظَةٌ!!

إِذَا مَا قِيسَ الْبَاقِي عَلَىٰ الْمَاضِي؛ فَإِنَّ الَّذِي مَضَىٰ قَدْ مَضَىٰ يَتَفَلَّتُ كَتَفَلُّتِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَا الْأَصَابِعِ، فَمَا الَّذِي يَتَبَقَّىٰ؟!!

قِسْ مَا هُوَ بَاقٍ عَلَىٰ مَا قَدْ مَضَىٰ، ثُمَّ اجْعَلْ هَذَا لِهَذَا؛ تَجِدْ أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ قَدْ مَضَىٰ، فَاللَّهُمَّ سَلِّمْ وَارْحَمْ، وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.(*).

* **وَمِنْ أَهَمِّ وَسَائِلِ الثَّبَاتِ حَتَّى الْمَمَاتِ -عِبَادَ اللهِ-: صُحْبَةُ الصَّالِحِينَ، وَمُجَانَبَةُ الْفَاسِدِينَ، وَالْحَيَاةُ فِي بِيئَةٍ صَالِحَةٍ مُؤْمِنَةٍ**؛ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وَاحْبِسْ -يَا رَسُولَ اللهِ، وَيَا كُلَّ دَاعٍ إِلَىٰ اللهِ- نَفْسَكَ؛ صَابِرًا عَلَىٰ تَحَمُّلِ مَشَقَّاتِ التَّعْلِيمِ وَالتَّرْبِيَةِ وَالتَّزْكِيَةِ، مُصَاحِبًا وَمُلَازِمًا الَّذِينَ يَعْبُدُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ﴾: مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ، ﴿وَٱلْعَشِيِّ﴾: مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَغُرُوبِ الشَّمْسِ، ﴿يُرِيدُونَ﴾ بِعِبَادَتِهِمْ وَجْهَ اللهِ، لَا يُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْإِخْلَاصُ رُوحُ الْإِسْلَامِ».

وَلَا تَصْرِفْ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ إِلَىٰ غَيْرِهِمْ، تَطْلُبُ مُجَالَسَةَ الْأَغْنِيَاءِ وَالْأَشْرَافِ، وَصُحْبَةَ أَهْلِ الدُّنْيَا.

﴿وَلَا تُطِعْ﴾ مُثَبِّطًا لَكَ عَنْ عَمَلِكَ، أَوْ مُسْتَدْرِجًا إِيَّاكَ إِلَىٰ مَزَالِقِ الْأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ مَنْ وَجَدْنَا قَلْبَهُ غَافِلًا عَنْ ذِكْرِنَا، وَاتَّبَعَ فِي طَلَبِ الشَّهَوَاتِ هَوَاهُ، وَكَانَ أَمْرُهُ مُتَفَلِّتًا عَلَىٰ غَيْرِ هُدًىٰ؛ فَكَانَتْ حَيَاتُهُ وَطَاقَاتُهُ مُبَدَّدَةً ذَاهِبَةً سَرَفًا وَتَضْيِيعًا.(*).

وَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ مُخَالَطَةِ الْفَاسِدِينَ الضَّالِّينَ؛ «فَإِنَّ كَثْرَةَ الْخُلْطَةِ تُورِثُ الْقَلْبَ امْتِلَاءً مِنْ دُخَانِ أَنْفَاسِ بَنِي آدَمَ حَتَّىٰ يَسْوَدَّ، وَيُوجِبَ لَهُ تَشَتُّتًا وَتَفَرُّقًا، وَهَمًّا وَغَمًّا، وَضَعْفًا، وَحَمْلًا لِمَا يَعْجِزُ عَنْ حَمْلِهِ؛ مِنْ مَئُونَةِ قُرَنَاءِ السُّوءِ، مَعَ إِضَاعَةِ مَصَالِحِهِ، وَالِاشْتِغَالِ عَنْهَا بِهِمْ وَبِأُمُورِهِمْ، وَتَقْسِيمِ فِكْرِهِ فِي أَوْدِيَةِ مَطَالِبِهِمْ وَإِرَادَاتِهِمْ، فَمَاذَا يَبْقَىٰ مِنْهُ لِلَّهِ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ؟!!

هَذَا، وَكَمْ جَلَبَتْ خُلْطَةُ النَّاسِ مِنْ نِقْمَةٍ، وَدَفَعَتْ مِنْ نِعْمَةٍ، وَأَنْزَلَتْ مِنْ مِحْنَةٍ، وَعَطَّلَتْ مِنْ مِنْحَةٍ، وَأَحَلَّتْ مِنْ رَزِيَّةٍ، وَأَوْقَعَتْ فِي بَلِيَّةٍ؟!! وَهَلْ آفَةُ النَّاسِ إِلَّا النَّاسُ؟!!

وَهَلْ كَانَ عَلَىٰ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ الْوَفَاةِ أَضَرَّ مِنْ قُرَنَاءِ السُّوءِ؟!!

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [الكهف: ٢٨].

لَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّىٰ حَالُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ تُوجِبُ لَهُ سَعَادَةَ الْأَبَدِ - وَالنَّبِيُّ عِنْدَ رَأْسِهِ يَقُولُ: «**يَا عَمَّاهُ! قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.. هِيَ كَلِمَةٌ أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**».

فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانُ الْإِنْسِ: أَتَدَعُ دِينَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَتَدْخُلُ فِي دِينِ مُحَمَّدٍ؟!!

فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ: أَنَّهُ عَلَىٰ دِينِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ فَدَخَلَ النَّارَ.

فَاحْذَرْ أَهْلَ زَمَانِكَ، وَأَقْلِلْ مِنَ الْمُخَالَطَةِ عَلَىٰ قَدْرِ وُسْعِكَ؛ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَقٌّ تُؤَدِّيهِ؛ مِنْ رَحِمٍ تَصِلُهُ أَوْ بِرٍّ تَذْهَبُ بِهِ إِلَىٰ مُسْتَحِقِّيهِ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَالْزَمْ قَعْرَ بَيْتِكَ، وَأَقْبِلْ عَلَىٰ رَبِّكَ كَمَا أَمَرَ بِذَلِكَ نَبِيُّكَ ﷺ، وَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ عَامَّتِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ مِنْ أَضَرِّ مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرٍ عَلَيْكَ-.

وَهَذِهِ الْخُلْطَةُ الَّتِي تَكُونُ عَلَىٰ نَوْعِ مَوَدَّةٍ فِي الدُّنْيَا، وَقَضَاءِ وَطَرِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ؛ هَذِهِ الْخُلْطَةُ تَنْقَلِبُ إِذَا حَقَّتِ الْحَقَائِقُ عَدَاوَةً، وَيَعَضُّ الْمُخَالِطُ عَلَيْهَا يَدَيْهِ نَدَمًا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

وَقَالَ خَلِيلُهُ عليه السلام لِقَوْمِهِ: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٥]»(١) .(*).

عِبَادَ اللهِ! هَذِهِ الْحَيَاةُ نِعْمَةٌ، مَنْ لَمْ يَسْتَغِلَّهَا اسْتِغْلَالًا صَحِيحًا؛ عَادَتْ عَلَيْهِ نِقْمَةً؛ فَعَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَجْتَهِدَ، وَأَنْ يَتَّقِيَ اللهَ رَبَّهُ، وَأَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ ظُلْمِهِ؛ مِنْ ظُلْمِ نَفْسِهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ، وَمِنْ ظُلَمِ مَنْ حَوْلَهُ كَائِنًا مَنْ كَانَ؛ حَتَّىٰ يَقْدُمَ عَلَىٰ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نَظِيفًا سَوِيًّا سَلِيمًا، وَحَتَّىٰ يَعْفُوَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَنْهُ.(*/٢).

اللَّهُمَّ خُذْ بِأَيْدِينَا إِلَيْكَ، وَأَقْبِلْ بِقُلُوبِنَا عَلَيْكَ، وَتُبْ عَلَيْنَا لِنَتُوبَ، تُبْ عَلَيْنَا لِنَتُوبَ، تُبْ عَلَيْنَا لِنَتُوبَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ عِنْدَ الْمَمَاتِ، نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ عِنْدَ الْمَمَاتِ، نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ عِنْدَ الْمَمَاتِ، نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ عِنْدَ الْمَمَاتِ.(*/٣).

❁❁❁

(١) «**مدارج السالكين**»: (١/ ٤٥٢-٤٥٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «عَرَفْتَ فَالْزَمْ» - ٢٨ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٣هـ | ٢٠-٤-٢٠١٢م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةِ: «هَلْ عَمِلْتَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ؟!!» - الْأَرْبِعَاءُ ١٨-١٢-٢٠١٣م.

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «مَوْقِفُ الْمُسْلِمِ مِنَ الْعِلْمِ الْمَادِّيِّ» - الْجُمُعَةُ ١٥-٩-١٩٩٥م.

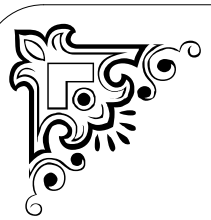

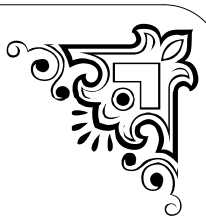

الفِهْرِسُ

مُقَدِّمَةٌ ٣
الِاسْتِقَامَةُ وَالثَّبَاتُ عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ وَثَمَرَاتُهُمَا ٣
الْخَوْفُ مِنْ عَدَمِ الثَّبَاتِ فِي زَمَانِ الْفِتَنِ!! ٥
جُمْلَةٌ مِنْ وَسَائِلِ الثَّبَاتِ عِنْدَ الْمَمَاتِ ٦
الْفِهْرِسُ ٢١